الشرق الأوسط كله في حالة تأهب .. لماذا ؟

بقلم : أحمد طلعت

الشرق الاوسط كله فى حالة تأهب ، والاذاعات ووكالات الانباء كلها تؤكد ان الوضع خطير ولقد حدث بعد ١٢ ساعة من توقيع وثائق كامب دافيد ، بين مصر واسرائيل والولايات المتحدة الامريكية ، ان بدأت المصادر الغربية فى رصد - ونقل - اول ردود الفعل العسكرية السوفيتية ٠

فقد وضع الاتحاد السوفيتى طائرات النقل العسكرية من طراز انتونوف ٢٢ فى حالة تأهب فى القواعد السوفيتية فى بلغاريا والمجر ، وعلى طول سواحل البحر الاسود ٠

كما وضعت فى حالة تأهب ، فرقتان سوفيتيتان فى القواعد العسكرية فى بلغاريا ، وفرقتان فى قاعدتهما قرب ميناء اوديا ٠٠

وشوهت - على شاشات الرادار - الطائرات العسكرية السوفيتية متجهة نحو دمشق ، وطرابلس وبنغازى فى ليبيا كما ازدحمت الممرات الجوية بين أديس أبابا وعدن بطائرات النقل العسكرية ٠

ولم يكن الاتحاد السوفيتى أول من وضع قواته فى حالة الاستعداد ، فقد وضعت الولايات المتحدة الامريكية الاسطول الامريكى السادس فى حالة تأهب قصوى ، منذ منتصف الليلة السابقة على توقيع وثائق كامب ديفيد ٠٠

ووضعت كل من سوريا واسرائيل جيشها فى حالة الاستعداد القصوى للقتال منذ أول أيام انعقاد مؤتمر كامب دافيد ، أما الجيش المصرى فقد وضع فى حالة التأهب، منذ صباح اليوم التالى لتوقيع الوثائق ٠

كما بعث الملك حسين ببرقية عاجلة وسرية من جزر مايوركا - حيث كان يقضى فترة للاستجمام - يطلب فيها من قادة الجيش الاردنى اعلان حالة التأهب ويأمر بنقل بعض الوحدات المقاتلة الى الحدود السورية ، بينما أسرع بالعودة الى عمان ، مما أعاق اتمام لقاء كان منتظرا بينه وبين الرئيس المصرى أنور السادات فى الرباط ٠

أما الجيش السعودى ، فقد وضع فى حالة تأهب على طول الحدود الجنوبية منذ ثلاثة أسابيع على الاقل ، كما نقلت السعودية فى الاسبوع الماضى بعض وحداتها الى حدودها الشمالية ، معززة ببعض الخبراء العسكريين الباكستانيين ٠

وحرك العراق ثلاثة لواءات - على الاقل - من قواته المسلحة ، اثنين منها ناحية حدوده مع سوريا ، والثالث فى اتجاه الحدود مع الاردن ٠

ومعنى ذلك انه بعد يومين اثنين من توقيع وثائق كامب دافيد ، كانت جميع القوات العسكرية للدول المعنية بأزمة الشرق الاوسط فى حالة استعداد ٠٠!!

ولكن السؤال هو : لماذا ٠٠؟؟

كانت التوقعات فى اسرائيل تشير الى احتمالات تحركات سوفيتية لتخريب نتائج مؤتمر كامب دافيد ، أو على الاقل عمليات عسكرية محدودة ، تقوم بها احدى الدول المعارضة لمبادرة الرئيس السادات ، ويساندها الاتحاد السوفيتى ٠

ورجح هذا الاعتقاد فى اسرائيل ، معلومات تشير الى أن السوفييت كانوا يسعون الى اعطاء زخم عسكرى لاجتماعات قمة الدول المعارضة لمبادرة الرئيس السادات التى كان المسرح يعد لها فى دمشق ٠٠

وكان أمل موسكو - وهدفها - ان يكون أول قرار لقمة الدول المعارضة لمبادرة الرئيس السادات ، هو دعوة الاتحاد السوفيتى للمشاركة فى المؤتمر كعضو كامل ، وكان الدبلوماسيون السوفييت فى العالم العربى قد روجوا شائعات تقول بأن مقررات كامب دافيد تخفى وراءها تحالفا عسكريا سريا بين مصر والولايات المتحدة واسرائيل ، وعلى ذلك فانه على الدول المعارضة لمبادرة الرئيس السادات - ان هى أرادت أن تواجه هذا المخطط - أن تسارع الى عقد تحالف مضاد مع الاتحاد السوفيتى ،أو على الاقل مع حلف وارسو ٠٠ !!

واستعد الاتحاد السوفيتى - فى حالة دعوته الى مؤتمر دمشق - لارسال وفد على مستوى رفيع يرأسه اليكسى كوسجين رئيس الوزراء - أو أندريه جروميكو - وزير الخارجية - وينضم اليه الوفد العسكر السوفيتى الذى كان موجودا وقتها فى دمشق ٠

كما استعد الرئيس الكوبى فيديل كاسترو - الذى كان يقوم وقتها بجولة فى شمال افريقيا - للسفر الى سوريا ليشارك هو الاخر مع السوفيت فى اجتماعات قمة دمشق ٠٠ !!

● الامير فهد
جبهة عربية جديدة

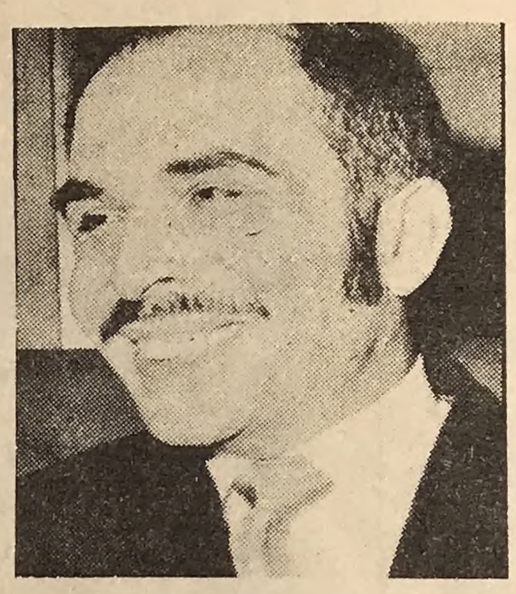

● الملك حسين
عاد من مايوركا

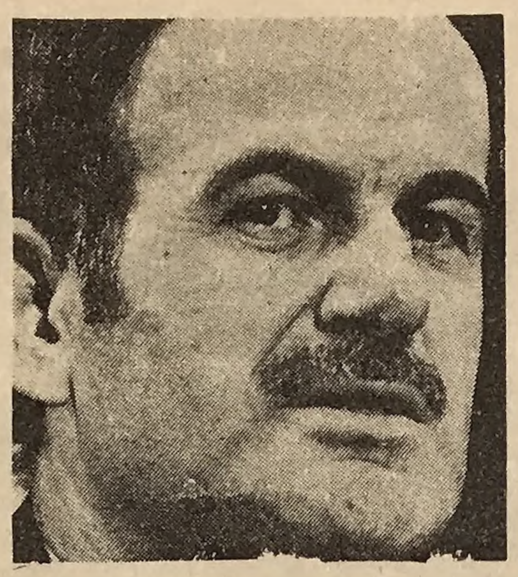

● الرئيس الاسد
أسلحة من ألمانيا

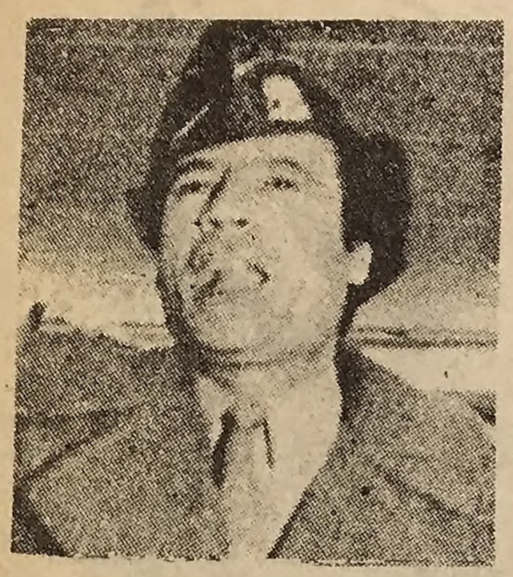

● الرئيس القذافى
حساسيات دمشق

وسرح الخيال بالاتحاد السوفيتى الى أبعد من ذلك ، ووصل الى حد التقدم باقتراح بأن تكون القيادة العسكرية للتحالف الجديد بين مجموعة الدول المعارضة لمبادرة الرئيس السادات وحلف وارسو برئاسة قائد عربى يعاونه مساعد سوفيتى ..

وفسر المراقبون الغربيون التحركات الجوية السوفيتية الكثيفة ، بأنها جزء من هذه الخطة الشاملة ، بحيث يمكن عند الاعلان عن عقد مثل هذا التحالف ، أن تقوم الطائرات السوفيتية فورا بنقل الاسلحة والعتاد الحربى الى حلفائها - عبر جسر جوى - كما يكون فى مقدور القوات الكوبية الموجودة حاليا فى اثيوبيا واليمن الجنوبى ان تتحرك الى أية جهة تريدها .

ويرجع المراقبون أسباب فشل الاتحاد السوفيتى فى تحقيق خطته الى عدة أسباب :

● ان الاتحاد السوفيتى لم يستطع اجراء الاتصالات اللازمة مع الرئيس السورى حافظ الاسد - قبل المؤتمر - بسبب غيابه عن دمشق ، فى زيارة لالمانيا الغربية .

● غياب الرئيس العراقى أحمد حسن البكر عن المؤتمر ، وانشغاله بأمور داخلية ملحة فى بغداد ، وفى مقدمتها مستقبل العلاقات مع السوفيت ..

● الحساسية التى قامت بين الرئيس السورى حافظ الاسد والرئيس الليبى معمر القذافى بسبب المحاولات التى بذلها الرئيس القذافى لاثناء سوريا عن شراء اسلحة غربية » ومن المانيا بالذات، بحيث أصبح من الصعب على الرئيس القذافى أن يقنع السوريين بالخطة السوفيتية .

أما على الجانب الاخر ، فان المراقبين يعتقدون بأن الرئيس المصرى أنور السادات قد حصل من الرئيس كارتر - خلال مؤتمر كامب دافيد - على تأكيدات أمريكية بمواجهة توسع النفوذ السوفيتى فى القرن الافريقى ، والبحر الاحمر ، والجنوب العربى ، وبدعم عسكرى واقتصادى أمريكى لمصر يسير متوازيا مع تنفيذ مراحل الاتفاقيات المصرية الاسرائيلية ..

كما يعتقد المراقبون أن الولايات المتحدة لازالت تعتقد بأن مواجهة النشاط السوفيتى - واحتوائه - لابد أن تقوم على تعاون ، سعودى مصرى أمريكى ..

لذلك فانهم يعتقدون بأن زيارة سمو الامير فهد نائب رئيس الوزراء السعودى للقاهرة ، فى أواخر يوليو الماضى ، قد تضمنت اقتراحا بقيام جبهة عربية ، سياسية وعسكرية ، تقودها السعودية ومصر ، لكن الرئيس السادات لم يشأ أن يلتزم بشىء محدد قبل ظهور نتائج قمة كامب دافيد .

وفيما يتعلق بالنتائج العسكرية لوثائق كامب دافيد - على المدى البعيد - فقد نظر بعض المراقبين ثلاثة أمور ورد ذكرها فى الاتفاقيات :

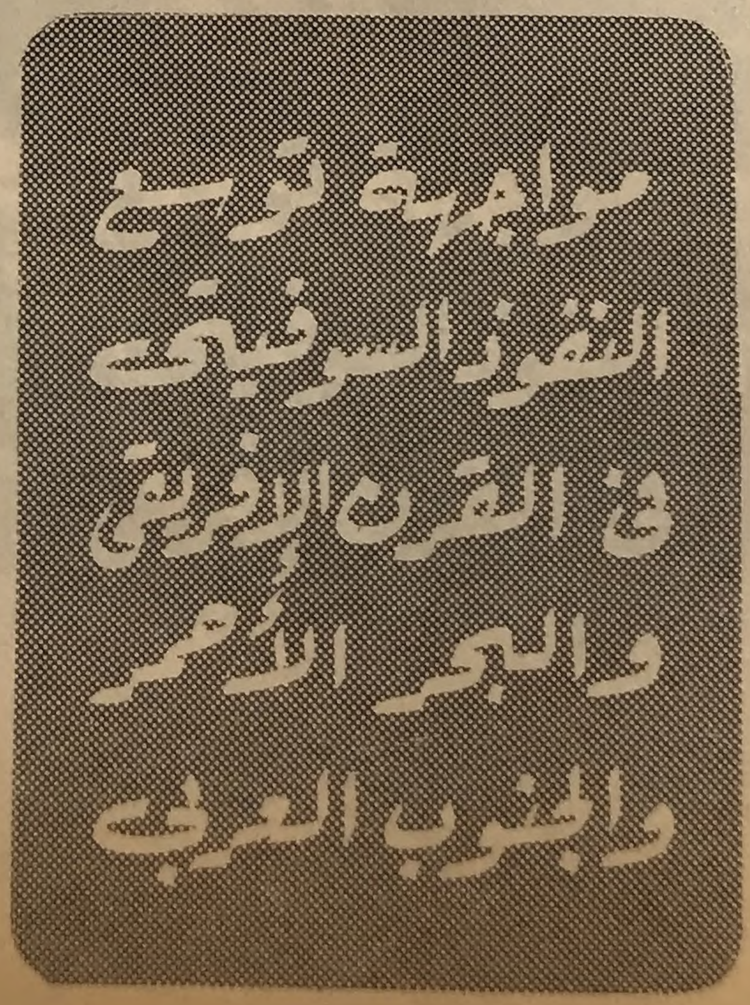

● اولا : ان اسرائيل وافقت على تسليم القواعد الجوية ، التى كانت قد بنتها فى سيناء ، الى مصر بشرط أن تستخدم فقط فى الاغراض المدنية . لكنه بالنظر الى الاهمية الاستراتيجية لهذه القواعد بالنسبة لمنطقة البحر الاحمر والقرن الافريقى ، فانه من المتصور أن تقوم هذه القواعد بدور عسكرى فى المستقبل ..

● ثانيا : ان مضايق تيران وخليج العقبة قد أصبحت - وفقا للاتفاقيات - ممرات دولية مفتوحة لجميع الدول ، للملاحة البحرية والطيران عبر أجوائها ، وهو مايسمح للولايات المتحدة - مثلا بالطيران عبر أجواء البحر الاحمر بالكامل ..

● ثالثا : موافقة مصر واسرائيل على انشاء طريق برى يربط بين سيناء المصرية والاردن ، مع السماح بأن تستخدمه مصر والاردن بحرية ..

ومن المتصور أن يتصل هذا الطريق - عند انشائه - بشبكة الطرق الحالية عبر سيناء ، وبالنفق الذى تبنيه مصر تحت قناة السويس ، كما يمكن أن يتصل بالطريق الذى تبنيه السعودية بين تبوك وعمان ، بحيث تتوفر شبكة متكاملة من الطرق التى يمكن استخدامها - عند الضرورة - فى أغراض النقل العسكرى فيما بين السعودية والاردن ومصر .

واذا كانت هذه هى ملاحظات المراقبين الاولية - عن وثائق كامب دافيد ومايمكن ان يترتب عليها ، فانه مما لاشك فيه أن العالم العربى مقبل على تغييرات - وتطورات - بعيدة المدى سوف تؤثر على واقعه .. وربما أيضا على خريطته .

احمد طلعت